

الأونروا: مساعدة اللاجئين الفلسطينيين في أجواء تفيض بالتحديات

غريتا غونارزدوتير

تعتبر الأونروا من أكبر وكالات الأمم المتحدة العاملة في الشرق الأوسط ويعمل بها أكثر من ٢٧ ألف موظف غالبيتهم من اللاجئين. وكان من المفترض في البداية أن تكون الأونروا. وفقا للتصورات الأولية لوظيفتها. وكالة مؤقتة لكنها قامت بتعديل برامجها لتفي بالاحتياجات المتغيرة للاجئين البالغ عددهم ٤,٣ مليون لاجئ يقطنون في قطاع غزة والضفة الغربية والأردن ولبنان وسوريا.

الأمراض والسيطرة عليها. وتشكل النساء ثلثي العدد الإجمالي للمرضى الذين يتلقون الرعاية المتكاملة من الأمراض غير المعدية في منشآت الرعاية الصحية الأساسية التابعة للأونروا. وقد ساعدت الأونروا في السيطرة على الأمراض التي لها لقاح وحققت تغطية تحصينية كاملة للأطفال والنساء، حيث تقدم الأونروا المساعدات للنساء أثناء الولادة وتدير برامج لمنع انتشار أنيميا نقص الحديد والسيطرة عليها بين النساء والأطفال من اللاجئين الفلسطينيين، بالإضافة إلى منع مرض السل والسيطرة عليه. ويتم تقديم المساعدات الغذائية الطارئة للأطفال اللاجئين الفلسطينيين، والذين يعتبرون عرضة للمعاناة من سوء التغذية، وللجئات الفلسطينيات الحوامل بالإضافة إلى المرضعات. وتوجد لدى الأونروا أيضا مشاريع عديدة لتعزيز الاستدامة البيئية في مخيمات اللاجئين، ويهدف برنامجها الطارئ الخاص بالصحة البيئية لقطاع غزة إلى تقديم إغاثة ومساعدة طارئة في الأماكن التي تعجز فيها البلديات التي تستضيف مخيمات اللاجئين عن التكيف مع الحالات الطارئة الضاغطة للصحة العامة والحفاظ على المنشآت العامة الحيوية مثل معامل معالجة المياه، وأنظمة إتلاف النفايات، وأبار المياه، والسيطرة على الآفات، وتذكر تقارير بأن هناك نقص في الوقود والمواد الأخرى لتشغيل مضخات المياه، والمنشآت الصحية، وأيضا نقص المواد الكيميائية الضرورية لتنقية المياه والقضاء على البعوض.

عن ٧٠٪ من إجمالي العاملين في الأونروا ويستهلك أكثر من نصف ميزانيتها. وتوفر الأونروا، بالتعاون مع اليونسكو، التعليم الأساسي والإعدادي والثانوي (في لبنان فقط) لحوالي نصف مليون طفل لاجئ فلسطيني مسجلين في ٦٦٣ مدرسة. كما يتم توفير التعليم المهني والفني والتدريب، بالإضافة إلى تأهيل المدرسين قبل البدء في التدريس، في ثمانية مراكز تدريب مهني، وتشجع الأونروا اللاجئين ليصبحوا أعضاء مستقلون ومنتجون في مجتمعاتهم ولكي يحافظوا على إرثهم الثقافي. وتهدف الأونروا كذلك إلى رعاية روح التسامح وخاصة من خلال نشر الوعي الخاص بحقوق الإنسان الأساسية، بما فيها تلك الحقوق المنصوص عليها في اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل.

ويركز برنامج الصحة في الأونروا - ثاني أكبر برامجها - على خدمات الرعاية الصحية الأولية، مع تركيز خاص على شؤون رعاية الأمومة ورعاية الأطفال ومنع

بدأت الأونروا عملياتها في الأول من شهر أيار ١٩٥٠، وكانت أولى أولوياتها ضمان مستوى معقول من المعيشة للاجئين عن طريق توفير المؤن الغذائية الأساسية، والوحدات السكنية، وتأمين منشآت الضمان الاجتماعي. وأسس العقد الأول من عمل الأونروا المخطط الأساسي لأولوياتها الأربعة الحالية، وهي التعليم، والصحة، والإغاثة والخدمات الاجتماعية، والائتمان بالغ الصغر. وحاليا تدير الأونروا أكثر من ٧٠٠ مدرسة، وعبادة ومنشآت أخرى للاجئين الفلسطينيين في الأردن، ولبنان، وسوريا، والمناطق الفلسطينية المحتلة.

وبما أن أكثر من ٥٠٪ من إجمالي اللاجئين الفلسطينيين تقل أعمارهم عن سن ٢٥، فهناك ضغط مستمر على الخدمات العامة بما فيها التعليم والذي يعتبر دائما أداة هامة للاجئين الفلسطينيين لتمكين الأجيال القادمة. وإلى اليوم يعتبر البرنامج التعليمي في الأونروا من أكبر برامجها حيث يستوعب ما يزيد

فاطمة أبو غلية حامل في اسبوعها السادس عشر ولديها ابنة يبلغ عمرها عاما واحدا، وقد كانت رحلة فاطمة من منزلها في أبو ديس إلى عبادة القدس التابعة للأونروا تستغرق خمس عشرة دقيقة قبل بناء إسرائيل للجدار العازل وتستغرق رحلتها الآن ساعة ونصف الساعة، ومعظمها تكون سيرا على الأقدام وهي تحمل طفلتها التي تحتاج للقاحات لا تستطيع الحصول عليها إلا في العيادة حيث لا توجد أي منشآت صحية عامة في أبو ديس. وتواجه النساء من أمثال فاطمة اختيار صعب، وهو تأخير الفحص الطبي الذي يمكن أن يعرض حياتهم وحياة أطفالهم للخطر، ولكن ذهابها إلى موعد الفحص في العيادة قد يعرض حياتهم للخطر أيضا إذا ظلت فاطمة وابنتها تنتظران على نقاط التفتيش أو إذا اضطررا إلى القيام برحلة محفوفة بالمخاطر إلى العيادة.

تبلغ أمل الحادية عشر من عمرها وترتاد مدرسة الشاطئ الابتدائية، وهي إحدى المدارس التي تمولها وتديرها الأونروا والبالغ عددها ١٨٧ مدرسة في قطاع غزة. وكل التلاميذ الذين يرتادون هذه المدرسة، والذين تتراوح أعمارهم من ست إلى اثني عشرة سنة، هم من سكان مخيم الشاطئ المتاخم للمدرسة والواقع على أطراف مدينة غزة. وتعد المخيمات التي تقطنها أمل ومعظم التلاميذ الآخرين من بين أكثر الأماكن اكتظاظا بالسكان على الأرض ولا يوجد بها أماكن مفتوحة، وتقدم المدرسة فرصة مزاوله اللعب والتفاعل بحرية مع الأطفال الآخرين، وتقول أمل «أستيقظ سعيدة في الصباح لأنني ذاهبة إلى المدرسة». ويتغلغل التهديد المستمر بالعنف المخيمات، حيث أن نجاح لم تجرؤ على اللعب في الخارج منذ أن قُتل أخاها البالغ من العمر اثني عشرة عاما في الشوارع المجاورة، وتقول «أشعر بالأمان في المدرسة، وهم يدرسون اللاعنف - لذلك أنا أحب المدرسة، وأشعر بالخوف في الخارج ولكني لم أعد أشعر بالخوف في المدرسة». ولأن التعداد السكاني في المخيم يزداد بسرعة، فإن عدد الأطفال الذي هم بحاجة للتعليم يزداد أيضا، وهناك الكثير من الأطفال الآن حيث يتوجب تقسيم المدرسة إلى فترتين دراسيتين (ورديتين) وكل فترة يحضرها أكثر من ألف طفل، ويجري تبديل الفترات الدراسية في وقت الغداء، وبالرغم من الأعداد المتزايدة والتحديات اللوجستية، فإن الأونروا لن تطرد أي طفل. وتقول مديرة المدرسة، وهي من عائلة المدهون، «لا نستطيع أن نقول «لا» لأي شخص، ولدي كل السجلات وأؤكد بنفسني من العائلات بأنه لا يوجد أي فرد منهم تفوته فرصة التعليم».

الدعامة الأساسية للخدمات المالية الرئيسية لقطاع كبير من القائمين على مشاريع الأعمال الصغيرة، بما فيها الأعمال التي تديرها النساء والشباب.

التحديات الجديدة

تعمل الأونروا في ظروف متزايدة الصعوبة لتلبية احتياجات اللاجئين الفلسطينيين الذين يصارعون ليتأقلموا مع حالة انعدام الأمن المتزايدة، ونقص الغذاء والطاقة، والآثار المترتبة على تجميد المساعدات الأجنبية عن السلطة الفلسطينية بقيادة حماس، والقيود المشددة على حركة الناس والبضائع، حيث أن الإغلاق المطول لمعبر كارني التجاري بين إسرائيل وقطاع غزة تسبب في تعطل خطير لعملية تقديم المساعدات للاجئين الفلسطينيين القاطنين في غزة والذين يعتمد أكثر من ٧٠٠ ألف منهم على الغذاء الذي توزعه الأونروا من طحين، وزيت، وسكر، ومواد أساسية أخرى.

لتحديد أهلية كافة خدمات الأونروا. وتدير إدارة الخدمات الاجتماعية والإغاثة برنامج مساعدة حالات العسر الشديد من أسر اللاجئين في الأونروا، وهو برنامج يقدم الدعم الغذائي لأكثر عائلات اللاجئين فقرا، ويرعى عمليات الترميم أو إعادة البناء، والمساعدات المالية أو الوصول المفضل للخدمات الأخرى للأونروا. وتدير الأونروا أيضا مراكز الشباب والأطفال والتي تشمل أهدافه تعزيز رفاهة الأطفال والشباب وتعزيز مشاركتهم في الفعاليات البناءة وفقا لأهداف اتفاقية حقوق الطفل. وتشرف الأونروا على شبكة مكونة من ١٠٤ منظمة أهلية يديرها متطوعون تبلغ نسبة النساء منهم ٦٣٪.

ويقدم برنامج المشروعات الصغيرة والقروض البسيطة في الأونروا - وهو أكبر برنامج من نوعه في المناطق الفلسطينية المحتلة - تسهيلات اعتمادية لدعم المشاريع الصغيرة والأعمال البالغة الصغر، ويساعد على خلق الوظائف، ويمكن ويدعم النساء اقتصاديا ويخفف من الفقر، ويعتبر البرنامج الآن

والسبب وراء التراجع الهائل للأعداد التي ترتاد عيادة الأمومة والطفولة يعود إلى مشاكل الوصول إلى تلك العيادات. ويقدر الدكتور زكريا الذي يعمل في الأونروا أن نسبة الارتياح قد تقلصت بنسبة تتراوح من ٣٠٪ إلى ٤٠٪، قائلا «قبل إقامة الحاجز كان العدد الحاضر هنا يتراوح بين مائتي إلى ثلاث مائة شخص يوميا من القرى الغربية، والآن ترتاد العيادة نسبة ١٠٪ من هذا العدد، وهم يتسلقون الجبال ويتخطوا نقاط التفتيش ليصلوا إلينا».

ويقدم برنامج الخدمات الاجتماعية والإغاثة التابع للأونروا المساعدة للاجئين الفلسطينيين الذين يعانون من مصاعب اجتماعية واقتصادية حادة. ويهدف البرنامج - من خلال الفعاليات المختلفة مثل قسم التدريب وتوفير مشاريع الائتمان بالغ الصغر - الحد من الفاقة في مجتمعات اللاجئين وتعزيز الاعتماد على الذات بين أقل أعضاء المجتمع تمتعا بالفرص خاصة النساء، والشباب، والمعاقين. وتعمل الإدارة أيضا كمستول عن السجلات التاريخية للاجئين، والتي تستخدم





ولقد أدى تدهور الاقتصاد الفلسطيني إلى ازدياد هائل للطلب على خدمات الأونروا التي تقدم للاجئين الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية. وتعيش حالياً حوالي ٣٠٢ ألف أسرة فلسطينية من اللاجئين في المناطق الفلسطينية المحتلة، ١٨٧ ألف أسرة منهم تعيش في غزة و١١٥ ألف أسرة تعيش في الضفة الغربية، ويمثلوا حوالي نسبة ٦٦٪ و٣٣٪ من التعداد الكلي لسكان تلك المناطق على التوالي، وتقدر الأونروا أن حوالي ٢٨ ألف من هذه الأسر تعتمد على رواتب السلطة الفلسطينية، منها أكثر من ٢٢ ألف قد تقدمت مؤخراً بطلبات للحصول على الإعاشة من الأونروا.

إن جل الخدمات العامة في المناطق الفلسطينية المحتلة تقدمه السلطة الفلسطينية ولا يمكن للأونروا أن تتولى مهمة استبدال تقديم هذه الخدمات، حيث أن الأونروا رأت ازدياداً هائلاً على طلبات

التوظيف من خلال برنامجها الطارئ لخلق الوظائف وحالياً هناك أكثر من ١٠٠ ألف لاجئ على قائمة الانتظار لهذه البرامج في غزة.

إن المفوضية الأوروبية والولايات المتحدة وبعض الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي هي من أكبر الجهات المانحة للوكالة، وقد بلغت الميزانية النقدية للوكالة التي أقرتها الجمعية العامة لسنة ٢٠٠٥ مبلغ ٣٣٩ مليون دولار أمريكي، ولا يشمل هذا المبلغ الأموال اللازمة للمشاريع أو لحالات الطوارئ. وعلى ضوء التفاؤل الذي تبع انسحاب إسرائيل من غزة في آب ٢٠٠٥، شمل نداء الطوارئ لعام ٢٠٠٦ الذي قامت به الوكالة نشاطات تبلغ كلفتها ٩١ مليون دولار أمريكي، لكن تم تعديل ذلك في شهر أيار من هذا العام إلى مبلغ ١٧١ مليون للأخذ بعين الاعتبار تدهور ظروف المعيشة في المناطق الفلسطينية المحتلة الناجمة عن تقليص دخل السلطة الفلسطينية والقيود الأخرى المفروضة على العمال والتجارة. وفي شهر حزيران أصبح الوضع رهيب بالفعل أكثر سوءاً على ضوء القتال المستمر والعمليات العسكرية الإسرائيلية في غزة.

وتهدف خدمات الطوارئ التي تنفذها الأونروا إلى:

- تقديم المزيد من فرص العمل المؤقتة للاجئين العاطلين عن العمل، وستتوفر ٣٠٪ من الفرص للأسر التي تعولها الإناث.
- وإضافة ٢٣ ألف أسرة جديدة من اللاجئين في غزة إلى برنامج توزيع الغذاء، حيث أشار مسح أجري في عام ٢٠٠٥ إلى أن مساعدات الغذاء الطارئة في الأونروا كانت هي المورد الرئيسي للغذاء لثلاثي الأشخاص الذي أجري عليهم المسح.

وفي غضون أكثر من نصف قرن من النزاع، ظلت مواقف الأطراف تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي كما هي فيما يتعلق بقضية اللاجئين الفلسطينيين، وبالرغم من أن الأونروا غير مفوضة للتوفيق بين المواقف السياسية للأطراف حول مسألة اللاجئين والتأثير عليها، إلا أنها تظل عاملاً هاماً للاستقرار في المنطقة، وفي ظل الغياب المستمر لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، قامت الجمعية العامة بتمديد ولاية الوكالة في شهر ديسمبر ٢٠٠٤ حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٨، مشددة على أهمية خدماتها لمصلحة اللاجئين

الفلسطينيين. وتظل الأونروا ملتزمة بمساعدة اللاجئين الفلسطينيين وفقاً لتفويضها وتتوقع من المجتمع الدولي أن يدعم دورها في تحقيق ذلك، بما في ذلك من خلال محاولة منع أي تدهور إضافي للوضع الإنساني الصعب على أرض الواقع في المناطق الفلسطينية المحتلة.

غريتا غونارزدوتير هي مديرة وحدة تحليل السياسات في مقر الرئاسة للأونروا في غزة وببريدها الإلكتروني: @gunnarsdottir.g.unrwa.or ويضم المقال مداخلات وآراء الزملاء العاملين في الوحدة وتم مساعدتهم.

للمزيد من المعلومات حول كيفية التبرع لمناشدة الطوارئ في الأونروا، زوروا <http://www.un.org/unrwa/emergency/donation/index.html>